أُصُولُ الطَّرِيقَة

للشَّيْخِ الإِمَامِ الرَّبَّانِي
أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ زَرُّوق الفَاسِيِّ
(٨٤٦-٨٩٩هـ)

بعناية
نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

أُصُولُ الطَّرِيقَةِ

الكتاب: أُصُولُ الطَّرِيقَةِ

المؤلِّف: الإمامُ أبُو العَبَّاس أَحْمَدُ زَرُّوقٌ (ت٨٩٩هـ)

المعتني به: نزار حَمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

أُصُولُ الطَّرِيقَة

للشَّيْخِ الإِمَامِ الرَّبَّانِي

أَبِي العبَّاس أَحْمَدَ زرُّوقٍ الفَاسِيّ

(٨٤٦ ـ ٨٩٩هـ)

بعناية

نزار حمّادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

سُئِلَ الشَّيْخُ الإِمَامُ العَالِمُ العَامِلُ العَارِفُ الكَامِلُ المُحَقِّقُ الوَاصِلُ شَيْخُ وَقْتِهِ أَبُو العَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى البُرْنُسِيُّ ثُمَّ الفَاسِيُّ عُرِفَ بِزَرُّوقٍ نَوَّرَ اللهُ ضَرِيحَهُ عَنْ أَصْلِ طَرِيقَتِهِ فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَنَفَعَنَا بِهِ مَا نَصُّهُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ.

۞ أُصُولُ طَرِيقَتِنَا خَمْسَةُ أشياءَ:

[١] ـ تَقْوَى ٱللَّهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ.

[٢] ـ وَٱتِّبَاعُ السُّنَّةِ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ[1].

[٣] ـ وَالإِعْرَاضُ عَنِ الخَلْقِ فِي الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ[2].

[٤] ـ وَالرِّضَى عَنِ ٱللهِ تَعَالَى فِي القَلِيلِ وَالكَثِيرِ[3].

(١) لا يُتَصوَّرُ سُلوكُ الطريقِ المُوصِلَةَ إلى رضْوَان اللهِ تعالى إلا من هذا الأصْل، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمن لا ٱتِّباع له لا طَريقَ له، فكُلُّ مَنْ أرادَ السُّلوكَ فهو مُطالَبٌ بٱتِّباع الرَّسُول الكريم والدَّليلِ العظيم مُحَمَّدٍ ﷺ في أقْوَالِه وأفْعَالِه، وسواء كانت تلْكَ الأقْوالُ والأفْعال مِنْ قَبِيل العِباداتِ أو العاداتِ.

(٢) وإلَّا لا يَصِحُّ إقبالُ القَلْبِ علَى اللهِ تعالى؛ إذ ليْسَ له إلا جِهَةٌ واحِدَة، فإذا أقْبَلَ بها على شيْءٍ أعرضَ عَنْ غَيْرِه، ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] والإعراضُ عنِ الخَلْقِ يَكُونُ بعدَمِ التَّوَكُّل عليهم، ولا الاَسْتِناد إليهم ثقةً باللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٣) هذا الأَصْلُ علامةٌ على نُزول العَبْد في مقام الرِّضى الحقيقي، وهو وجودُ الرِّضى في حالَةِ القليلِ كحالَةِ الكثير، وفي حالة المَنْع كحالَةِ العطاء، فهذا دليلٌ على أنَّ الرِّضَى وقعَ على غَيْرِ عِلَّةٍ، بل بمجرَّدِ الصِّدْق في العبودية، وهو مَطْلُوبُ اللهِ مِنَ العَبْد.

[٥] ـ وَالرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ[١].

فَتَحْقِيقُ التَّقْوَى بِالوَرَعِ وَالاسْتِقَامَةِ[٢].

وَتَحْقِيقُ اتِّبَاعِ السُنَّةِ بِالتَّحَفُّظِ وَحُسْنِ الخُلُقِ.

وَتَحْقِيقُ الإِعْرَاضِ عَنِ الخَلْقِ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ[٣].

وَتَحْقِيقُ الرِّضَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِالقَنَاعَةِ وَالتَّفْوِيضِ[٤].

(١) والرُّجوعُ إلى الله تعالى في السَّرَّاء يكونُ بالشُّكْر، والرُّجوع إليهِ في الضَّراء يكونُ بالصَّبْر.

(٢) لأن الورَع يُعِينُ على التقوى، وبالاستقامة يحصل التمكُّن فيها، فكلاهما سببٌ دالٌّ على التحقق بالتقوى.

(٣) لأن الصبر دافعٌ للقلق الداعي للمخلوق، والتوكل دافعٌ للاضطراب الناشيء عن الهمّ بالرزق.

(٤) لأن القناعة دافعة للسخط، والتفويض دافع للاعتراض.

وَتَحْقِيقُ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعالَى بِالحَمْدِ وَالشُّكْرِ فِي السَّرَّاءِ، وَاللَّجَإِ إِلَيْهِ فِي الضَّرَّاءِ.

❁ وَأُصُولُ ذَلِكَ كُلِّهِ خَمْسَةٌ:

[١] ـ عُلُوُّ الهِمَّةِ.

[٢] ـ وَحِفْظُ الحُرْمَةِ.

[٣] ـ وَحُسْنُ الخِدْمَةِ.

[٤] ـ وَنُفُوذُ العَزْمَةِ.

[٥] ـ وَتَعْظِيمُ النِّعْمَةِ.

فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ ارْتَفَعَتْ رُتْبَتُهُ[١].

وَمَنْ حَفِظَ حُرْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى حَفِظَ اللَّهُ حُرْمَتَهُ[٢].

---

(١) لا شك أن علوّ الهمة ينشأ عنه التقوى والاستقامة والورع لأن من علت همتُه لا يسقط عن تلك المقامات.

(٢) خ: حُفِظتْ حرمتُهُ.

وَمَنْ حَسُنَتْ خِدْمَتُهُ وَجَبَتْ كَرَامَتُهُ[1].

وَمَنْ أَنْفَذَ عَزْمَتَهُ دَامَتْ هِدَايَتُهُ[2].

وَمَنْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ فِي عَيْنِهِ شَكَرَهَا[3].

وَمَنْ شَكَرَهَا ٱسْتَوْجَبَ المَزِيدَ مِنَ المُنْعِمِ بِهَا حَسَبَ وَعْدِهِ الصَّادِقِ[4].

❁ وَأُصُولُ المُعَامَلَاتِ[1] خَمْسَةٌ:

---

(١) يعني من حفظ حرمة الله فيما له من الحقوق بأن لا يترك أمرًا ولا يقرب نهيًا، حفظ الله حرمته بين عباده من أهل أرضه وسمائه بأن يرقيه بينهم إلى مقام الكمال ويحليه بمحامد الأحوال.

(٢) يعني من صحت عزمته بصحة القصد إلى الله تعالى دامت هدايته إلى الله تعالى.

(٣) يعني من عظمت النعمة في عينه باستعظامه المنعم، لا من حيث هي، شكرها باستعماله لها في مرضات المنعم عَزَّوَجَلَّ، إذ تعظيمه لها يوجب صرفها في مرضاته، وذلك أيضا تعظيمٌ لها.

(٤) خ: المزيد من النِّعَمِ بما وَعَدَهُ الصادقُ.

[١] ـ طَلَبُ العِلْمِ لِلْقِيَامِ بِالأَمْرِ [٢].

[٢] ـ وَصُحْبَةُ المَشَايِخِ وَالإِخْوَانِ لِلتَّبَصُّرِ [٣].

[٣] ـ وَتَرْكُ الرُّخَصِ وَالتَّأْوِيلَاتِ لِلتَّحَفُّظِ [١].

(١) خ: المُعامَلَةِ.

(٢) المراد بالعلم هنا علم الديانة التي به تصح العبادات وتتم المعاملات، وبه تبرأ ذمة المكلَّف من الواجبات وبه يصح القيام بالمأمورات، فلا عمل لمن لا علمَ له، فلذلك كان لا يحلّ لمسلم أن يقدم على أمرٍ حتى يعلم حكمَ الله فيه، وكل علم لا تصحُّ الواجبات إلا به فهو واجبٌ مثلها، والعلمُ إمام العمَل، فلا يصح لعامل الدخول في الأعمال إلا بعد علمه بأحكامها

(٣) يعني أن صحبة المشايخ الذين أقامهم الله تعالى هداةً للخلق، وجعلهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يهدون بهديهم ويدعون إلى الله بدعوتهم أصلٌ من أصول المعاملة، وكذلك صحبة الإخوان الصالحين إذا فقد المشايخ يتنزلون منزلتهم. وفائدة صحبة المشايخ الاستبصار بعلمهم والاقتداء بهم في أحوالهم والاتباع لهم في أقوالهم وأفعالهم.

[٤] ـ وَضَبْطُ الأَوْقَاتِ بِالأَوْرَادِ لِلْحُضُورِ(٢).

(١) يعني أن ترك الرخص وهو الأخذ بالأحوط، وترك التأويلات وذلك بالعمل على الأشهر، أصل من أصول سلامة الأعمال والتحفظ من الوقوع في غير الطاعة، فإن المترخص والمتأول راتعٌ حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فلذلك كان تركها أحفظ للمعاملات.

(٢) يعني أن ضبط الأوقات ومراعاتها بالأوراد وحفظ الأنفاس للسلامة من آفة الغفلة ينتجان الحضورُ المطلوب في المعاملات لتحصيل ثمراتها ونتائجها.وقد رتب المشايخ ~ لكل وقت وِرْدًا يخصّه، أخذوا ذلك من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سُنّة رسوله ﷺ ومن أفعال السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فمن ذلك أن جعلوا ثلث الليل الأخير للتهجد بالقرآن أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، ولابد في خلال هذا الوقت من دعاء واستغفار وتجديد توبة، والأولى الدعاء بأدعيته ﷺ ثم يتبعها إن شاء بأدعية المشايخ، فإذا طلع الفجر صلى ركعتي الفجر ثم يعمر الوقت بين صلاة الفجر وصلاة الصبح بما ورد عنه ﷺ، فمنه: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أستغفر الله مائة» مرة، ومنه «لا إله إلا الله سبحانك إني كنت من الظالمين».

[٥] - وَٱتِّهَامُ النَّفْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِلْخُرُوجِ عَنِ الْهَوَى(١) وَالسَّلاَمَةِ مِنَ العَطَبِ(٢).

فَطَلَبُ العِلْمِ آفَتُهُ(٣) صُحْبَةُ الأَحْدَاثِ سِنًّا أَوْ عَقْلاً أَوْ دِينًا مِمَّنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَلاَ قَاعِدَةٍ(٤).

وَآفَةُ الصُّحْبَةِ لِلْمَشَايِخِ(٥) الاَغْتِرَارُ(٦) وَالفُضُولُ.

---

(١) خ: الدَّعْوَى.

(٢) لما كانت المعاملات الدينية لا تسلم غالبا من الغلط فيها، وكان الرضى عن النفس سببا لذلك الغلط، كان اتهامها منجيا من الغلط، وبهذا الاعتبار كان اتهام النفس أصلا من أصول المعاملات.

(٣) خ: آفاتهُ.

(٤) وإنما كان كذلك لأن حدَث السنّ لا عقل له، فصحبته بطالة وخسران، وحدث العقل لا فهم له، فصحبته سفاهة واغترار، وحدث الدين لا خشية عنده فصحبته معصية وكفر، وكل من هؤلاء لا يرجع لأصل ولا قاعدة، فالبطالة نهاتيها الحرمان، والاغترار نهايته الخيبة، والمعصية نهايتها العقوبة.

(٥) خ: للأشْيَاخ.

(٦) يعني الاغترار في الصحبة بظواهر الأحوال، فالعاقل ينبغي أن لا يغتر

وَآفَةُ تَرْكِ الرُّخَصِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الشَّفَقَةُ عَلَى النَّفْسِ[(١)].

وَآفَةُ ضَبْطِ الأَوْقَاتِ ٱتِّسَاعُ النَّظَرِ فِي العَمَلِ بِالفَضَائِلِ[(٢)].

بظواهر الإنسان فيكتفي بذلك فيصاحبه ويواليه كل الموالاة فيكشف له عن حاله ويكشف له عن ضميره ويفشي له سرَّه، بل لا يصنع معه هذا حتى يبحث عن أموره ويستدل على حسن أحواله الباطنة وحسن نيته وصفاء سريرته بالعلامات الظاهرة والأمارات الصادقة

(١) لأن النفس دائما من طبعها الميل إلى الرخص والتأويلات لأن في ذلك راحتها، والعاقل مطالب بإخراجها عن طبعها وعن مواطن راحتها، ولا يمكنه ذلك إلا بمجاهدتها، ومهما دام مشفقا عليها فلا يتمكن من مجاهدتها فتبقى على طبعها وميلها إلى الرخص والتأويلات القادحة في الأعمال.

(٢) لأنه مضيع للأوقات، ولهذا قيل: الوقتُ سيفٌ إذا لم تقطعه بالعمل قطعك عن الأمل.

وَآفَةُ ٱتِّهَامِ النَّفْسِ الأُنْسُ بِحُسْنِ أَحْوَالِهَا وَٱسْتِقَامَتِهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وَقَالَ الكَرِيمُ بْنُ الكَرِيمِ بْنِ الكَرِيمِ بْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ(١): ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

۞ وَأُصُولُ مَا تُدَاوَى بِهِ عِلَلُ النَّفْسِ خَمْسَةُ أَشْيَاء:

---

(١) خ: وقال الكريم بن الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

[١] ـ تَخْفِيفُ المَعِدَةِ مِنَ الطَّعَامِ(١).

[٢] ـ وَاللَّجَأُ إِلَى ٱللهِ في ما يَعْرِضُ عِنْدَ عُرُوضِهِ.

[٣] ـ وَالفِرَارُ مِنْ مَوَاقِفِ مَا يُخْشَى وُقُوعُ الأَمْرِ المُتَوَقَّعِ فِيهِ(٢).

[٤] ـ وَدَوَامُ الاسْتِغْفَارِ، مَعَ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ(١) ﷺ بِخَلْوَةٍ وَٱنْجِمَاعٍ(٢).

---

(١) هذا الأصل هو أصل جميعها، وعليه مدارها لأنه مُضْعِفٌ لقُوَّةِ النَّفْس ورادٌّ لها عن حظوظها وشهواتها وهواها، ومُخْمِدٌ لها، وهو لها أشد عذابًا، فالجوع بضاعة المريدين، ورأس مال السالكين، وأفضل أعمال الزاهدين، وخير أحوال العارفين. قال يحي بن معاذ: «لو كان الجوع يباعُ في الأسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة ـ إذا دخلوا السوق ـ أن يشتروا غيره. قال سهل بن عبد الله: لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع العلم والحكمة. وقال أبو سليمان الداراني: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

(٢) يعني أنه مما يستعين العبدُ به على مداواة علل نفسه: الفرار من المواضع التي يخشى وقوع الأمور التي تتولد منها العلل فيه وبالبعد عنها.

[٥] - وَصُحْبَةُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى ٱللَّهِ، أَوْ عَلَى أَمْرِ ٱللَّهِ، وَهُوَ مَعْدُومٌ(٣).

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْصَانِي حَبِيبِي(٤) فَقَالَ: لَا تَنْقُلْ قَدَمَيْكَ إِلَّا حَيْثُ تَرْجُو ثَوَابَ ٱللَّهِ، وَلَا تَجْلِسْ إِلَّا حَيْثُ تَأْمَنُ غَالِبًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَةِ

(١) خ: رسول الله.

(٢) لأن الاستغفار حامل على الندم على ما فات من المخالفات وعلى الحذر من الوقوع فيما هو آتٍ، والصلاة على النبي ﷺ حاملة على الاستقامة، نافية لعلل النفس، وكذا الندمُ فإنه يكسر النفسَ ويخمدها، وفي ذلك طهارتها.

(٣) لا شك أن صحبة الصالحين الدالين على الله تعالى وعلى أمره تنور القلوب، وتزيل عِلَل النفوس، وتُنْهِض الأرواح إلى حضرة الله تعالى، فهي كالترياق الأكبر لا يثبت معه داء ولا علةٌ. فإن لم يوجد مثل هذا فأخبارهم والنظر في أعمالهم وأحوالهم.

(٤) خ: شيخي.

اللَّـهِ، وَلَا تَصْطَفِ لِنَفْسِكَ إِلَّا مَنْ تَزْدَادُ بِهِ يَقِينًا، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ». أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ دَلَّكَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ غَشَّكَ[1]، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى العَمَلِ فَقَدْ أَتْعَبَكَ، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى اللَّـهِ فَقَدْ نَصَحَكَ[2]».

وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اجْعَلِ التَّقْوَى وَطَنَكَ[3]، ثُمَّ لَا يَضُرُّكَ مَرَحُ النَّفْسِ[1]، مَا لَمْ تَرْضَ بِالعَيْبِ أَوْ تُصِرَّ عَلَى الذَّنْبِ[2]، أَوْ تَسْقُطْ مِنْكَ الخَشْيَةُ بِالغَيْبِ».

---

(١) لأنه دلّك على عدوّ يفرّق بينك وبين حبيبك ويقطعك عنه، ثم هو إن أقبل عليك أشغلك، وإن أدبر عنك أحزنك.

(٢) لأنه أراحك من تعب الأسباب وعلّق قلبك بالملك الوهاب، وإن كانت الدلالة على العمل دلالةً على الله ولكن الدلالة على العمل دلالة تكليف، والدلالة على الله دلالة تعريف.

(٣) أي: مقامك بحيث لا ينقلك منها سلطان الهوى، ولا يخرجك عنها داعي الحظوظ والشهوات.

قُلْتُ: وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولُ البَلَايَا[٣] والآفَاتِ.

۞ وَقَدْ رَأَيْتُ فُقَرَاءَ هَذَا الزَّمَانِ[٤] ٱبْتُلُوا بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ:

[١] - إِيثَارِ الجَهْلِ عَلَى العِلْمِ[٥].

[٢] - وَالاَغْتِرَارِ بِكُلِّ نَاعِقٍ[١].

(١) لأن مرح النفس حينئذ يكون في حرم التقوى، فلا يضر بصاحبه.

(٢) لأن الرضى بالعيب والإصرار على الذنب خروج عن التقوى.

(٣) خ: البلاء.

(٤) خ: فقراء أهل الوقتِ.

(٥) وإنما آثر هؤلاء أهل الجهل على أهل العلم وانتموا إليهم دونهم لأن أهل الجهل دَلُّوهُم على ما يوافق هَواهُمْ وشهواتِهم، فٱسْتمالُوهم إليهم بذلك حتى آثَرُوا صحبتهم على صُحْبَة العلماء الذين يَدُلُّونهم على مخالَفة النفس ومخالفة الحظوظ وترك الشهوات، فنفرت بذلك منهم نفوسهم وثقل عليهم الائتمار بأمرهم وموافقتهم، إذ من شأن النفوس أبدًا النفور من الحقّ والميل إلى الباطل وإن كان فيه هلاكها ما لم تتطهر بالتقوى وتتنور بنور الاستقامة.

[٣] ـ وَالتَّهَاوُنُ فِي الأُمُورِ(٢).

[٤] ـ وَالتَّعَزُّزِ بِالطَّرِيقِ(٣).

[٥] ـ وَٱسْتِعْجَالِ الفَتْحِ دُونَ شَرْطِهِ(٤).

۞ فَٱبْتُلُوا بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ(٥):

(١) المراد بالناعق دعاة الباطل الذين يدعون إلى الله تعالى بغير علمٍ شرعيّ ولا حكمة سنية ولا بصيرة نبوية ولا هداية إيمانية، بل بمجرد الدعوى ومحض الباطل والهوى. وعبر عمن هذا حاله بالناعق تشبيها بالحمار فإنه ينعق بين أمثاله وينتظر الإجابة من أشكاله.

(٢) أي الأمور الدينية، ولا شك أن التهاون بها أعظم بلية، إذ به تضيع حقوق الله جَلَّ جَلَالُهُ.

(٣) أي إظهار العزة على الناس بالنسبة والتكبر عليهم بما هم عليه من التنسك.

(٤) أي استعجال الكشف عن حقائق العلوم الإحسانية والاستشرافِ على دقائق المعارف العرفانية والعثورِ على حقائق التوحيد دون شرطه الذي هو محو النفس وموتها، وعزوب الروح عن عالم الحسّ، واستيطانه حضرة القدس على بساط الأنس، فلا ينتظر الفتحَ من لم يأت بهذه الشروط.

(٥) خ: بخمسةٍ.

[١] - إِيثَارِ البِدْعَةِ(١) عَلَى السُّنَّةِ(٢).

[٢] - وَٱتِّبَاعِ أَهْلِ البَاطِلِ دُونَ أَهْلِ الحَقِّ(٣).

[٣] - وَالعَمَلِ بِالهَوَى فِي كُلِّ أَمْرٍ أَوْ جُلِّ الأُمُورِ(٤).

[٤] - وَطَلَبِ التُّرَّهَاتِ(٥) دُونَ الحَقَائِقِ.

[٥] - وَظُهُورِ الدَّعَاوى(٦) دُونَ صِدْقٍ.

۞ **فَظَهَرُوا(٧) بِذَلِكَ بِخَمْسَةٍ:**

[١] - الوَسْوَسَةِ فِي العِبَادَاتِ(١).

---

(١) زَرُّوق: البِدْعَةُ: اعْتِقَادُ مَا لَيْسَ بِقُرْبَةٍ قُرْبَةً، أَوِ اعْتِقَادُ نَفْيِ القُرْبَةِ عَمَّا هُوَ قُرْبَةٌ، أَوْ إِعْطَاءُ الحُكْمِ لِمَا لَيْسَ لَهُ شَرْعاً. (إعانة المتوجه، ص٥٥)

(٢) لما آثروا الجهل على العلم استهوتهم البدعة في أقوالهم وأفعالهم على السُّنّة.

(٣) لما اغتروا بكل ناعق ابتلوا باتباع أهل الباطل.

(٤) لما اتبعوا أهل الباطل دون أهل الحق كان عملهم بالهوى في كل أمر.

(٥) الترهات نوع من الباطل يلبسون به على العوام يفرغونه في قالب الحقائق.

(٦) ظهورها على ألسنتهم وقلوبهم خالية من الصدق.

(٧) خ: فَظَفِرُوا.

[٢] ـ وَالاسْتِرْسَالِ مَعَ العَادَاتِ(٢).

[٣] ـ وَالسَّماعِ وَالاجْتِمَاعُ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ(٣).

[٤] ـ وٱسْتِمَالَةِ الوُجُوهِ بِحَسَبِ الإِمْكَانِ(٤).

[٥] ـ وَصُحْبَةِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، حَتَّى النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانِ.

---

(١) لأنهم آثروا البدعة على السُّنة، فابتلوا بالوسوسة.

(٢) لأن العادات لا ينقل العبد منها إلا سلطان الحقّ، ولا يخرجه عنها إلا تقوى مع وجود الصدق، فصاحب الهوى لا يزال مقيما على عوائده في أقواله وأفعاله وأحواله.

(٣) لأن من أدمن الاجتماع في عموم الأوقات ظهر بأمر مذموم إذ لا يسلم الاجتماع على ذلك الوجه من علل قادحة فيه، إذ لربما وقع الاجتماع في بعض الأوقات في غير محله أو مع غير أهله أو في غير زمانه أو بمجموع الجميع، وسُنّة أهل الصدق في اجتماعهم أن يكون في زمنه وفي محله ومع أهله.

(٤) وهذه حالة ظهرت به علامةٌ على أنه عامل لأجل الخلق، لا للحقِ، فذلك أيضا ظهروا بصحبة أبناء الدنيا. ومن أراد استمالة وجوه الناس إليه لابد له من مخالطته لهم في الغالب، وإن اعتزلهم في الظاهر فهو مخالط لهم في الباطن.

وَٱغْتَرُّوا فِي ذَلِكَ بِوَقَائِعِ القَوْمِ وَذِكْرِ أَحْكَامِهِمْ[١]، وَلَوْ تَحَقَّقُوا لَعَلِمُوا:

ـ أَنَّ الأَسْبَابَ[٢] رُخْصَةُ الضُّعَفَاءِ، وَالمُقَامُ بِهَا بِقَدْرِ الحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ[٣]، فَلَا يَسْتَرْسِلُ مَعَهَا إِلَّا بَعِيدٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى[٤].

---

(١) وشتان بينهما، فوقائع القوم جارية منهم إما على سبيل الغيبة أو على سبيل القصد لتمكنهم من المقام ورسوخهم فيه، كقصدهم هداية مريد، فأحوالهم نشأت عن سُنّة وحقيقة موافقة للشريعة، وأما أهل الاغترار فأحوالهم نشأت عن هوى وباطل وبدعة.

(٢) خ: الاسترسال.

(٣) خ: + وأن العوائدَ أدويةٌ وقيامٌ بحقِّ الحكمةِ.

(٤) لأنه بقدر ما يلتبس العبدُ بعوائده البشرية يفارق الأصاف الروحانية، وبقدر موافقته لها يبعد من الحضرة القدسية، وبقدر بعده منها يبعد من الله تعالى.

- وَأَنَّ السَّمَاعَ رُخْصَةُ المَغْلُوبِ[1]، أَوْ رَاحَةُ الكَامِلِ[2] إِذَا كَانَ بِشَرْطٍ مِنْ أَصْلِهِ فِي مَحَلِّهِ وَأَدَبِهِ، وَهُوَ ٱنْحِطَاطٌ فِي بِسَاطِ الحَقِّ.

- وَأَنَّ الوَسْوَسَةَ بِدْعَةٌ أَصْلُهَا جَهْلٌ بِالسُّنَّةِ، أَوْ خَبَالٌ فِي العَقْلِ.

- وَأَنَّ التَّوَجُّهَ لِإِقْبَالِ الخَلْقِ إِدْبَارٌ عَنِ الحَقِّ[1]، لَا سِيَّمَا قَارِئٌ مُدَاهِنٌ، أَوْ جَبَّارٌ غَافِلٌ، أَوْ صُوفِيٌّ جَاهِلٌ.

---

(١) لأن المغلوب لسلطان الجمال أو الجلال إذا ضاق نطاقه وقلق قلبه وروحه عن حمل أعباء الواردات الجلالية أو الجمالية وضعف عن مقابلة سلطان أنوارها يرخص له في السماع لزوال ما به من ضيق وضعف وقلق، ولما يعود عليه من ذلك من النفع.

(٢) رُخِّص للكامل في السماع لقوته وتمكنه، فهو يتمكن به ولا ينقص منه لقوة روحانيته. ومع هذا كله فإنما يرخص للفريقين في السماع إذا كان بشرطه من أهله ومع أهله وفي محله وبآدابه.

- وَأَنَّ صُحْبَةَ الأَحْدَاثِ ظُلْمَةٌ وَعَارٌ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَقَبُولُ أَرْفَاقِهِمْ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ.

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الحَدَثُ: مَنْ لَمْ يُوَافِقْكَ عَلَى طَرِيقِكَ وَلَوْ كَانَ ابْنَ سَبْعِينَ سَنَةً».

قُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى حَالٍ، وَيَقْبَلُ كُلَّ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ فَيُولَعُ بِهِ، وَأَكْثَرُ مَا تَجِدُ هَذَا فِي أَبْنَاءِ الطَّوَائِفِ(٢) وَطَلَبَةِ المَجَالِسِ(٣)، فَاحْذَرْهُمْ غَايَةَ جُهْدِكَ(٤).

---

(١) إذ ليس للقلب إلا جهةٌ واحدةٌ، فإذا توجّه بها إلى جهة أدبر عن الأخرى، والتوجه إلى الخلق يقتضي الإدبار عن الحقّ.

(٢) وهم أهل الشعوذة الذين يأكلون الدنيا بالدين.

(٣) وهم أهل الجدل والمراء.

(٤) لأن صحبتهم فتنة، ومعاملتهم نفاق، والجلوس معهم معصية، ومشاهدتهم خسران.

۞ وَكُلُّ مَنِ ادَّعَى حَالًا مَعَ ٱللّٰهِ[1]، ثُمَّ ظَهَرَتْ[2] مِنْهُ أَحَدُ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ كَذَّابٌ أَوْ مَسْلُوبٌ وَالعِيَاذُ بِاللّٰه:

[١] ـ إِرْسَالُ الجَوَارِحِ فِي مَعَاصِي ٱللّٰهِ[3].

[٢] ـ وَالتَّصَنُّعُ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ[1].

---

(١) الأحوال مع الله تختلف باختلاف مقامات المدعين لها وأحوالِهم، فأحوال المريدين: التقوى والورع والاستقامة، وأحوال الزهاد: الزهدُ والتوكل والتسليم والتفويض والرضى، وأحوال العارفين: المقامات والمنازلات والمكالمة والمواجهة والمخاطبات. فمن وصل إلى مقام المعرفة فلا تكون دعواه إلا عن صدق، ولا يأتي بما يناقض المعرفة؛ إذ المعرفة تجل عن ذلك. وأما من دونهم في المقام فممكن أن يدعي حالا من الأحوال ثم يظهر منه ما يناقضها، وذلك علامة على كونه لم يبلغ إلى المقام والحال الذي يدعيه، أو أنه سُلِبَ.

(٢) خ: ظهرَ.

(٣) هذه حالة لا يصح دعوى الأحوال العلية معها على كل حال لأن الأفعال تناقض الأقوال، وكيف يدعي الأحوال العلية من هو عبد نفسه وهواه؟!

[٣] ـ وَالطَّمَعُ فِي خَلْقِ ٱللَّهِ[٢].

[٤] ـ وَالوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ ٱللَّهِ[٣].

[٥] ـ وَعَدَمُ ٱحْتِرَامِ المُسْلِمِينَ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ ٱللَّهُ[٤].

---

(١) هذا أيضا لا يصح معه دعوى الأحوال العلية لأن فاعله واجه الخلق بما للخالق حيث تصنع لهم بطاعته، وهو مرائ حقا، والرياء شركٌ، وبعيدٌ دعوى الأحوال مع الشرك.

(٢) لأن الطامع في المخلوق ناظر إليهم ومقبل عليهم ومستند إليهم، وهذا كله حال من أعرض عن الله تعالى بإقباله على غيره ونظره إليه، مع ما يصحب الطمع من العلل، وهيهات أن يطمع العبد ما دام موصوفا بالطمع في الترقي إلى الأحوال، ومهما ادعاها فهو كذاب فيما ادعى.

(٣) المقصود بأهل الله أهل ولايته، والمقصود بالوقيعة فيهم إذايتهم، فمن أذاهم فقد حارب الله ورسوله ﷺ، ومن حاربهما فقد باء بغضب من الله، والمغضوب عليه بعيد عن الاستقامة، فكيف يدعي الأحوال بعيدٌ؟!

(٤) حرمة المسلمين واجبة لأن الله تعالى ورسوله ﷺ عظما حرمتهم فوجب احترامهم، ومن أهانهم فقد أهان ما عظم الله تعالى ورسوله ﷺ، والفاعل لذلك

وَقَلَّ مَا يُخْتَمُ لَهُ بِالإِسْلَامِ(١).

۞ وَشُرُوطُ الشَّيْخِ(٢) الَّذِي يُلْقَى إِلَيْهِ المُرِيدُ خَمْسَةٌ(٣):

[١] - عِلْمٌ صَحِيحٌ(٤).

[٢] - وَذَوْقٌ صَرِيحٌ(١).

بعيد من الله تعالى، والبعد منه مناف لدعوى الأحوال، فمن كان بهذا الوجه فهو كذاب في دعواه.

(١) يعني أن من كانت فيه خصلة من تلك الخصال الذميمة المبعدة عن الله تعالى وادعى حالا من الأحوال معه تعالى فهو كذاب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومستوجب للعقوبة، ويوشك أن يعاقب بسوء الخاتمة.

(٢) زرُّوق: لَا تَقْتَدِ إِلَّا بعَارِفٍ عَالِمٍ مُتَأَدِّبٍ بآدَابِ الشَّرْعِ وَالحَقِيقَةِ، وَجَدْتَ مِنْهُ نَفْحَةَ الرَّفِيقِ الأَعْلَى بِسَرَيانِ حَقِيقَةِ إِشَارَتِهِ فِيكَ. (مقدّمة التصوف، ص٢٤)

(٣) لما كانت الأحوال الزكية والمقامات العلية لا تصح إلا من مريد صادق في إرادته أو سالك محقق في سلوكه مقتد في ذلك بشيخ عارف محقق وفقرت فيه شروط المشيخة، ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

(٤) لأن الشيخ دليل، ولابدّ للدليل مع علم تصح به دلالته.

[٣] ـ وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ(٢).

[٤] ـ وَحَالَةٌ مَرْضِيَّةٌ(٣).

[٥] ـ وَبَصِيرَةٌ نَافِذَةٌ(٤).

---

(١) المراد بالذوق: تحقق عبارته، وتفهم إشارته، فبعلمه يقتدى، وبذوقه يهتدى، فبعلمه تستقيم الظواهر في الأقوال والأفعال، وبذوقه تتحقق البواطن في الأحوال، فبعلمه يختبر ظواهر المريدين، وبذوقه يختبر بواطن السالكين.

(٢) زرُّوق: بِتَرْكِ الخَلْقِ، وَرَفْضِ الدُّنْيَا وَالنَّفْسِ وَالهَوَى وَالشَّيْطَان. (مقدّمة التصوف، ص١٨) الخروبيُّ: أي: همةٌ عالية عن الأكوان لتنتقل همم المريدين إلى الله تعالى؛ إذ همة المريد من همة شيخه.

(٣) زرُّوق: بِالانْحِيَاشِ إِلَى اللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ بِإِيقَافِ الآمَالِ عَلَى اللَّهِ فيمَا قَلَّ وَجَلَّ. (مقدّمة التصوف، ص١٨) الخروبيُّ: حالةٌ مرضيَّةٌ مع الله ومع الخَلْق، فمع الله باستقامة أحواله، ومع الخلق بمكارم الأخلاق.

(٤) لينظر بها بنور الله تعالى في أحوال تابعيه الباطنة، إذ الشيخ مطالب بالنظر في ظاهر المريد وباطنه، ولا يتوصل إلى النظر الباطن إلا بالبصيرة.

واعلم أن هذه الأوصاف كلها قد وجدت في سيدنا ومولانا محمد ﷺ؛ إذ لما جعله الله هاديا إليه ودليلا يدل عليه وأمر الخلق بالاقتداء به ﷺ جمع فيه

۞ وَمَنْ فِيهِ خَمْسٌ[1] لَا تَصِحُّ مَشْيَخَتُهُ:

[١] ـ الجَهْلُ بِالدِّينِ[2].

[٢] ـ وَإِسْقَاطُ حُرُمَاتِ الـمُسْلِمِينَ[3].

[٣] ـ وَدُخُولُ مَا لَا يَعْنِي[1].

مكارم الأخلاق. ولا تصح المشيخة الكاملة إلا لمن كان على قدم رسول الله ﷺ، وهو من كملت أحواله واستقامت أقواله وأفعاله وكان متخلقا بالقرآن العظيم متحليا بمعاني الأسماء الحسنى، وكان ذا علم راسخ وعقل سليم ونفس طاهرة، فانمحى هواه، وانشرح صدره وتنور قلبه بأنوار المعرفة.

(١) خ: خمسةٌ.

(٢) لما ذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الشروطَ التي لابد من وجودها في الشيخ الكامل، أخذ في ذكر أوصاف من لا تصح مشيخته، فأولها الجهلُ بالدين لأنه لا يصح الاقتداء به أصلا، فهو لا يهدي نفسه فكيف يهدي غيره؟! فالجاهل أعمى لا يهتدي إلى الطريق، فكيف يهدي غيره إليها؟!.

(٣) لأن سقوط حرمتهم عنده يقتضي عدم الاهتمام بهم وقوله النصح لهم، والشيخ مطالب بالاهتمام بالمسلمين والنصح لهم جريا على طريقته ﷺ.

[٤] ـ وَٱتِّبَاعُ الهَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ(٢).

[٥] ـ وَسُوءُ الخُلُقِ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ(٣).

---

(١) لأن ذلك من الفضول الداعي إلى شرٍّ عظيم ونقص كبير، فالداخل فيما لا يعنيه ليس ممن يقتدى به.

(٢) لأن الهوى مضل عن سبيل الله، ووظيفة الشيخ أن يهدي إلى سبيل الله تعالى، فمن ضل عنها لا يهدي غيره إليها، والشيخ يأمر بمخالفة الهوى في كل شيء، وكيف يأمر بمخالفته وهو متبع له؟! فلا يمكنه ذلك، وإن أمكنه فلا يفيد.

(٣) لأن من ساء خلقه لا تصح مشيخته لأن الشيخ يحتاج إلى خلق عظيم وقلب سليم وحال كريم، كيف لا وهو مطالب بأن ينتفع الناس بأخلاقه، فإنه يأتيه الجاهل ذو الفظاظة والغلظة فيقابله بحسن خلق وسلامة قلب، فبذلك تصح الهداية، وقد أمر الله تعالى نبيه بما هو نتاج حسن الخلق، وهو العفو والصفح فقال: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾ [المائدة: ١٣]، ومدحه بحسن الخلق بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، فوارثوه لابد أن يكونوا على قدمه ﷺ في خُلُقِه وفي جميع أحواله، فليكن الشيخ على خلق عظيم يتجاوز عن العثرات ويعفو عن السيئات وينقل ذوي الأخلاق الذميمة إلى الأخلاق الحميدة بالحكمة والموعظة الحسنة.

۞ وَأَدَبُ المُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ وَالإِخْوَانِ خَمْسَةٌ[1]:

[١] ـ ٱتِّبَاعُ الأَمْرِ وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ خِلاَفُهُ[2].

[٢] ـ وَٱجْتِنَابُ النَّهْيِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ حَتْفُهُ[3].

[٣] ـ وَحِفْظُ حُرْمَتِهِ غَائِبًا وَحَاضِرًا، حَيًّا أَوْ مَيِّتًا[4].

[٤] ـ وَالقِيَامُ بِحُقُوقِهِ بِحَسَبِ[5] الإِمْكَانِ[1].

---

(١) لما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ما يشترط في الشيخ ومن تصح مشيخته ومن لا تصح أخذ يذكر آداب المريدين مع الشيخ والإخوان، مع أن بعض الآداب اللازمة للمريد مع شيخه لا تكون مع الإخوان لتفاوت الحقوق.

(٢) إنما لزم المريدَ اتباعُ أمر الشيخ لما فيه من المصالح له، ولو لم يكن فيه إلا خروجه عن مراده لما في ذلك من الخروج عن الهوى.

(٣) كما لزم المريد اتباع أمر شيخه لزمه أيضا اجتناب نهيه، فإنه لا يأمره ولا ينهاه إلا لمقصد حسن وإن ظهر للتلميذ خلافه، فوجب ترك نظره لنظر شيخه فيما أمره به نهاه عنه لأنه أعلم منه بالمصالح والمضار.

(٤) لأن حرمته من حرمة الله تعالى وحرمة رسوله ﷺ لأنه نائب عنهما، فمن حفظ حرمة شيخه حفظ الله حرمته، ومن أهانها أهانه الله تعالى.

(٥) خ: حَسَب.

[٥] - وَعَزْلُ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ وَرِئَاسَتِهِ، إِلَّا مَا يُوَافِقُ ذلِكَ مِنْ شَيْخِهِ(٢).

وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِالإِنْصَافِ(٣) وَالنَّصِيحَةِ، وَهِيَ مُعَامَلَةُ الإِخْوَانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْخٌ مُرْشِدٌ، وَإِنْ وُجِدَ نَاقِصًا عَنْ الشُّرُوطِ الخَمْسَةِ اعْتُمِدَ فِيمَا كَمُلَ فِيهِ(٤)، وَعُومِلَ بِالأُخُوَّةِ فِي البَاقِي(٥)، وَالسَّلَامُ.

---

(١) كما لزم الشيخ القيامُ بحقوق المريد لزم المريد القيام بحقوق شيخه وإلا لم يكن إنصاف.

(٢) لا يحسن بالتلميذ أن يرجع في أموره إلى عقله وعلمه، وإنما يرجع في جميع أحواله إلى نظر شيخه إذ هو أعلم به من نفسه، فبذلك يكون الفتح ويحصل المقصود. وإذا وافق ما عنده ما عند شيخه فالأدب يقتضي أن لا يرجع إليه إلا بإشارة من شيخه.

(٣) خ: بالإنصاتِ.

(٤) أي: من الشروط.

(٥) أي فيما لم يوجد في الشيخ من الشروط.

ٱنْتَهَتِ الْأُصُولُ وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَبِآخِرِهَا لِلشَّيْخِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ مُطَالَعَتُهَا[1] فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ مَرَّةً، وَإِلَّا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، حَتَّى تَنْطَبِعَ مَعَانِيهَا فِي النَّفْسِ وَيَقَعَ تَصَرُّفُكَ عَلَى مُقْتَضَاهَا، فَإِنَّ فِيهَا غُنْيَةً عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ وَالوَصَايا، فَقَدْ قِيلَ: «إِنَّمَا حُرِمُوا الوُصُولَ لِتَضْيِيعِهِمُ[2] الْأُصُولَ»[3]، وَمَنْ تَأَمَّلَهَا عَرَفَ ذَلِكَ، ثُمَّ لَا تَزَالُ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَعَاهَدُهَا قَصْدَ التَّذَكُّرِ بِهَا.

---

(١) خ: أن تطالعها.

(٢) خ: لتضييع.

(٣) نقله القشيري في الرسالة عن الشيوخ. ومعناه: إنما حرموا الوصول إلى درجات الكمال والقرب وعوائد الإفضال، لتضييعهم الأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره من المقاصد والأعمال. (نتائج الأفكار للشيخ العروسي، ج٤/ص ٣٤٨)

وَفَّقَنَا اللّٰهُ وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

دار الإمام ابن عرفة

تونس